الشباب الموهوبون في الاختراع نجوم خارج دائرة الضوء

البيروقراطية تحطم أحلام المخترعين الشباب بمصر

تداعب الشباب المخترعين في غالبية الدول العربية أحلام وردية بمجرد اختمار أفكارهم حول مشروع جديد، ويتصورون أنفسهم على منصات التكريم. بعضهم يتخيل اسمه ضمن المرشحين لجوائز عالمية، لكن الأحلام تنكسر على صخرة الواقع عقب اتخاذ أول خطوة في طريق التطبيق.

محمد عبدالهادي
كاتب مصري

القاهرة - يواجه المخترعون الشباب في المجتمعات العربية سلسلة من الإحباطات تدفع بمعظمهم إلى التخلي عن طموحاتهم، بداية من العجز عن حماية أفكارهم وتمويلها، ونهاية بصورة كاريكاتيرية تبطن التهكم على مواهبهم وقدراتهم فتعتبرهم كمن يرقصون داخل مختبرات تحت الأرض صارخين "وجدتها وجدتها".

وتنظم وزارة التعليم العالي والبحث العلمي المصرية، الملتقى الدولي السادس عشر للابتكار يومي 24 و25 أكتوبر، بهدف التسويق لابتكارات الباحثين بعد دعوة رجال الأعمال والصناعيين للحضور، لكن تظل الدعوة القاصرة على عدد محدد عائقا أمام مشاركة جميع الموهوبين في الاختراع وعرض أفكارهم.

ولا يعول هؤلاء كثيرا على الملتقيات العلمية التي تستضيفها المؤسسات البحثية المحلية في تحسين أحوالهم، فالعقبات التي تقف في طريق نقل أوراق أعمالهم المكدسة فوق أرفف وأدراج مكتب براءة الاختراع تشير إلى أنه لا ينجو من فخها إلا سعداء الحظ.

تقول إسراء إمام، وهي فتاة أنهت أخيرا اختراعا بمجال الهندسة الكهربائية، إن التمويل يعتبر المشكلة الرئيسية التي تواجه المخترعين الشباب من الجنسين، فالمبالغ المخصصة حكوميا لا يتم توزيعها بصورة عادلة مع استئثار الطلاب من دارسي الماجستير والدكتوراه بمعظمها دون اعتبار أهمية الاختراع وإمكانية تطبيقه.

ولا توجد قاعدة بيانات جيدة، فالنظام الورقي لا يزال ساريا في تسجيل الاختراعات الجديدة بمكتب براءة الاختراع، ما يدفع البعض من الشباب إلى قطع رحلات تتجاوز 600 كيلومتر أكثر من مرة لتسجيل فكرة ومتابعة اعتمادها.

وتضيف إمام، في حديث خاص لـ"العرب"، أن الحصول على براءة اختراع قد يستغرق ثلاث سنوات للتأكد من عدم اقتباسها من مشروعات سابقة مقابل 3 أشهر كحد أقصى في غالبية دول العالم، وخلالها ربما يضيع المجهود حال تسجيل مشروع مشابه.

وأسس بعض الشباب برنامجا للتسجيل الإلكتروني بجهودهم الذاتية، لكنهم فشلوا في إقناع مسؤولي مكتب براءة الاختراع الذي تأسس قبل 60 عاما بالتخلي عن الطريقة التقليدية، والموافقة على تجربة الطريقة الجديدة، ليواصل موظفوه العمل بين دواليب ضخمة مليئة بالملفات التي تظل شهورا طويلة مهملة قبل الفصل فيها.

> المشكلات المالية تظل مصدر القلق الأول بالنسبة إلى الباحثين الشباب، خاصة المخترعين الذين لا يتبعون جهة بحثية رسمية

ووفقا لإحصائيات نقابة المخترعين في مصر التي تضم قرابة 500 عضو نشط، فإن 98 بالمئة من أصحاب الاختراعات الجديدة تتراوح أعمارهم بين 10 و35 عامًا، وليس لديهم الإمكانيات المالية للإنفاق على اختراعاتهم في التسجيل والتطبيق، حال الموافقة عليها.

ولا يمثل الحصول على براءة الاختراع المشكلة الوحيدة، فمع بداية التطبيق يحتاجون إلى سيل من الموافقات من جهات تتنازع ملكية الاختراعات موزعة بين وزارات البيئة والصناعة والصحة والتعليم العالي، وكل منها يقع في منطقة مختلفة من العاصمة، ليحتاج الحصول على موافقتها جميعا قرابة الشهر من استكمال الأوراق ودراستها.

وتؤكد هبةالله عبدالرحمن، نقيبة المخترعين بمصر، لـ"العرب" أن بعض المبتكرين مطالبون بتسديد رسوم متصاعدة لمشروعاتهم المتكدسة بمكتب براءة الاختراع، كي لا تسقط ملكيتها وتعتبر لاغية، وقد يواصلون دفع مبالغ تناهز 80 دولارا سنويا دون أدنى معرفة بمصير مشروعهم.

ويعتبر تسويق المشروعات وجذب انتباه القطاع الخاص معضلة أمام المخترعين الشباب، في ظل تجاهلهم من قبل وسائل الإعلام، وهذا ليس حكرا على مصر فهو يكاد يكون سمة مشتركة بين الدول العربية، وحتى المؤتمر الدولي الذي نظمته النقابة بعنوان "مصر تخترع" مطلع شهر أكتوبر بجامعة طنطا في القاهرة، لم يحظ بمتابعة إعلامية.

وتعتبر الأجيال الجديدة من المبتكرين الأحاديث الرسمية عن دعم الاختراع والابتكار في المؤتمرات والملتقيات العلمية مجرد كلام نظري يعرض للاستهلاك المحلي وينتهي بمجرد نزول المتحدثين من على المنصة، وينصب فقط تجاه أعمال الشباب بفروع الجهات الأجنبية التي توفر لهم الدعم وتعمل على ترويج المشروعات البحثية خارجيا.

وشهد مؤتمر نقابة المخترعين مشروعات جديدة لتطوير بطاريات السيارات وشحن الهواتف بالطاقة الشمسية ووحدات صغيرة لتخزين الطاقة، لكن لم يتحمس أحد من رجال الأعمال والمستثمرين لتنفيذها، لتظل نسبة الاستثمار في الاختراعات المسجلة عند مستوى 1.7 بالمئة، وفقا لآخر إحصائية رسمية.

ويعتبر أحمد خطاب نموذجا لحالة الإحباط التي يواجهها الشباب، فبعدما ابتكر وسيلة ترشيح تمنع تسرب عوادم مصانع الإسمنت والسيراميك للهواء وصنعه على حسابه الخاص لم ير عمله النور طوال عشرين عاما.

ويوضح مخترع شاب، رفض ذكر اسمه، لـ"العرب" أنه اضطر إلى بيع أفكار بعض اختراعاته لآخرين بعدما عجز عن المضي قدما في إجراءات التسجيل والتنفيذ، وفضل بناء حياة طبيعية، بعدما تجاوز 35 سنة، دون التمكن من تحقيق أهدافه في الاستقرار الاجتماعي.

حاول الشاب الذي تبدو حوائط غرفة نومه مليئة بشهائد التكريم، الهروب من شبكة معارفه وأقربائه الذين حولوه إلى شخصية كرتونية يلاحقونها بالسخرية، وأطلقوا عليه اسم الدكتور "فرانكشتاين" و"أبوالعريف"، ليتخلى عن طموحاته ويكتفي بوظيفة مدرس فيزياء.

ومن جانب آخر يرى مختصون اجتماعيون أن السينما عززت الصورة النمطية للمخترعين، وقدمتهم كشخصيات بوهيمية منغلقة تفضّل معايشة الحيوانات على البشر ولديها استعداد للتخلي عن القيم لمن يدفع أكثر، كشخصية الدكتور أيوب في فيلم "واحدة بواحدة"، والبروفيسور "الأنوي" في "شنبو في المصيدة".

ويشتكي شباب باحثون ومخترعون مصريون من غياب التقدير الاجتماعي والمعنوي وعدم الاعتداد بهم كشريحة اجتماعية فاعلة في صناعة القرار، فحتى القطاع المصرفي يرفض منحهم قروضا لتنفيذ أفكارهم البحثية، ويعتبرها مشروعات غير ذات جدوى اقتصادية أو غير مضمونة النجاح.

ولجأ بعض المخترعين الشباب إلى الخارج لتسجيل أفكارهم دون أدنى اعتبار للحساسيات السياسية والنعرة القومية المحلية، فلم يجد الباحث الطبي إيهاب داوود غضاضة في تسجيل الملكية الفكرية لاختراع قلب صناعي متكامل مع منشأة إسرائيلية، في أربعة أشهر فقط.

بداية الطريق

واضطر البعض الآخر إلى التعامل مع مكاتب سمسرة احترفت تسويق الابتكارات مقابل الحصول على نسبة من قيمة بيع الاختراع تصل إلى 25 بالمئة، ولا يتعدى دورها تقديم شرح كتابي ومصور عن المشروع، والاتصال بمكاتب عربية وأجنبية وسيطة تعيد ترويجه لرجال الأعمال والشركات الأجنبية.

وكشفت نقيبة المخترعين أن المشكلات المالية تظل مصدر القلق الأول بالنسبة إلى الباحثين الشباب، بداية من سداد رسوم الاختراع وشراء الخامات والمعدات اللازمة للصناعة، خاصة المخترعين الأفراد الذين لا يتبعون جهة بحثية رسمية، ويلجأون إلى جمعيات وهمية لدعمهم دون عقود قانونية تضمن للمخترع حقه في الاستغلال.

وأشارت إلى أن المخترعين الشباب لديهم مشروعات شديدة الأهمية وتحتاج فقط إلى الدعم مثل مشروع نظارات القراءة للمكفوفين ووحدات فصل ذكية للقمامة وروبوتات لإذابة الجلطات وسيارات كهربائية، وكلها لها جدوى اقتصادية حال تبنيها.

وبات الهروب إلى الخارج الوسيلة المفضلة للباحثين والمخترعين الشباب لينضموا إلى قرابة 86 ألفا آخرين نجحوا في تنفيذ أحلامهم، بعضهم يقول إن الحكومة تشجع على الابتعاد، وحتى مؤتمرات "مصر تستطيع بعلمائها" تجعل النماذج التي بنت حياتها في الغرب أساس النجاح.

رؤية السعودية 2030 تعوّل على مجتمع مزدهر يرعى المخترعين الشبان

عمر علي البدوي
صحافي سعودي

تعوّل برامج التحول الوطني التي تتبعها السعودية في هذه المرحلة على دور الشباب وتفعيل كل المجالات التي يمكن استثمار طاقاتهم من خلالها لرفع كفاءة مواطنيها وتهيئتهم لتحديات المرحلة الراهنة والنهوض بمشاريع التنمية والمنافسة على قطاعات اقتصادية وتجارية وعلمية وتقنية واسعة تنوي المملكة اقتحامها والاهتمام بها والمنافسة فيها.

وتعد رؤية 2030 خطة قابلة للتحقيق بالنسبة إلى الشباب الطموحين، فهي تعبر عن أهدافهم في بناء مستقبل مزدهر وتستند إلى مقوّمات المملكة ومكامن قوّتها لدعم المواطنين في تحقيق تطلعاتهم. ولعل مشاريع دعم المخترعين وتحفيز براءات الاختراعات، واحدة من تلك المجالات التي تهتم الرؤية بتطويرها وتحسين أداء القطاع الحكومي المعنيّ بها والمتصل بكل جوانبها الفنية والبشرية والقانونية.

وتحث المملكة أجهزتها الرسمية على ضرورة تضافر الجهود فيما بينها، مع تقديم الدعم الكامل للابتكارات والاختراعات والأفكار المميزة للشباب، وتحفيزهم على البحث والابتكار، والعمل على تشجيع ابتعاث المتخصصين إلى كبرى الشركات والمؤسسات العالمية للتدريب؛ للمساهمة في نقل الخبرات والتقنيات المتقدمة إلى المملكة، حتى يتمكنوا من الارتقاء بمجال البحث العلمي ومن الاستجابة للتحديات الفنية التي تواجه سير عمل كافة القطاعات في البيئة المحلية.

الأمر الذي بدأت نتائجه تسجل قفزات مهمة في هذا المضمار، بعد تحسين الكثير من بيئات وحاضنات دعم المخترعين وزيادة تمويل برامج رعايتهم والعناية باحتياجاتهم؛ إذ تسيّدت السعودية قائمة الدول العربية لبراءات الاختراع، في القائمة التي أعلنتها المنظمة العالمية للملكية الفكرية (ويبو) التابعة للأمم المتحدة، وتقدمت الرياض من المرتبة الـ27 إلى الـ25 عالميا، بعد أن بلغ عدد براءات الاختراع السعودية 3399، تليها مصر في المركز الـ46 ثم الإمارات في المركز الـ54.

وقال عبدالعزيز محمد السويلم الرئيس التنفيذي للهيئة السعودية للملكية الفكرية إن قفزة السعودية في الترتيب العام لإيداع براءات الاختراع بتقدمها أربعة مراكز عن عام 2017، تقدم نتمنى أن يستمر بتضافر الجهود الوطنية.

حدث الأمر نفسه على مستوى الجامعات السعودية، التي يرتقب منها دور أكبر في دعم قطاع الاختراعات وتجهيز طلابها وطالباتها للمنافسة فيه، وتهيئة ظروف اجتماعية وثقافية تحثّ على إشاعة هذا المفهوم وتحسين حواضنه العلمية المواتية والمشجعة عليه.

وحسب التقرير الحكومي الأميركي حصلت جامعة الملك فهد للبترول والمعادن على المركز الرابع عالميا في عدد براءات الاختراع، متقدمة على جامعات عظمى كهارفارد واكسفورد، فيما نالت جامعة الملك سعود المركز الـ25.

"عملاقة النفط أرامكو السعودية ستصبح ملك براءات الاختراع 'The King of Patents' للنفط والغاز" حسب وصف مجلة "ذي وول ستريت" بعدما تضاعفت الاختراعات المسجلة في المكتب الأميركي إلى أربعة أضعاف من عام 2014 إلى عام 2017 لتبلغ 230 اختراعا السنة الماضية وتتصدر الشركة المركز الثالث بعد إكسون موبيل وشفرون.

البراءات التي أهلت هذه الشركة السعودية الضخمة لهذا اللقب، ليست مجرد أرقام وإنما تقنيات وأفكار جديدة بعضها ساعد في التغلب على مشاكل في العمليات وبعضها تقنيات متقدمة عالمياً لم يسبق إليها أحد.

ويدفع ميل الرؤية الرسمية للحكومة السعودية نحو تعزيز أدوار القطاع الخاص لتنمية الممكنات المحلية في دعم وتشجيع الشباب على الاختراع، وتشجيع العمل النوعي بتعزيز قيام الشركات بمسؤولياتها الاجتماعية ودعم نمو القطاع غير الربحي وتمكين المنظمات غير الربحية من تحقيق أثر أعمق لتمكين الشباب، عبر احتضان مواهبهم وتبني مشاريعهم وصقل قدراتهم الأولية وانخراطهم في واجبات وظيفية وعملية ستكون معيناً على سبر أبعاد الاختراعات المطروحة وتحويلها إلى مشاريع إنتاجية ذات واقعية وربحية وجدوى تسويقية.

وتقول الأكاديمية وخبيرة النفط السعودية عبير العليان إن "التقدم الكبير في براءات الاختراع للجامعات والمؤسسات السعودية عالمياً يمثل انعكاسا للعقول السعودية التي لا يستهان بها، و يجب أن تركز الجامعات والقطاعات الخاصة والحكومية على استثمار هذه الاختراعات وتحويلها إلى منتج يستعمل على أرض الواقع من خلال منظومة متكاملة داعمة للاقتصاد المعرفي المبني على الابتكار".

ويعد برنامج بادر لحاضنات ومسرعات التقنية، أحد أهم البيئات الإبداعية في مجال الابتكار ودعم تأسيس وإنماء المشروعات الريادية والناشئة، والذي تم تأسيسه في عام 2007 من قِبل مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية؛ بهدف دعم فرص مشاريع الأعمال المبنية على التقنية، وتطوير ريادة الأعمال في المجال التقني.

كما عمل "بادر" على تطوير سياسة احتضان وطنية؛ من خلال إنشاء شبكة من المستثمرين الشباب، وسدّ الفجوة الناجمة عن عدم توافق الثقافات ما بين الجامعات والمجتمع؛ وذلك من خلال إطلاق برامج ريادة جامعية.

واليوم، يركز برنامج "بادر" على توسيع نطاق مراكز الابتكار والريادة في جميع أنحاء المملكة بُغْيَة تحقيق مؤشرات الأداء الرئيسة المتمثلة في تأسيس 600 شركة ناشئة، وخلق 3600 فرصة عمل بحلول عام 2020.

ويُمثل مكتب "بادر" لخدمات المخترعين دور الاستشاري والمالي لطلبات المخترعين السعوديين حسب مسار العمل على فكرة المخترع؛ حيث يُساعد المخترع الشاب على إجراء البحث المبدئي لفكرة اختراعه، ويزوده بنتيجة البحث لكي يتمكن من معرفة قوة فكرته، وإمكانية حمايتها من خلال البحث في الوثائق المشابهة للفكرة في قواعد البيانات الدولية.

> المملكة تحث أجهزتها الرسمية على ضرورة تضافر الجهود فيما بينها، مع تقديم الدعم الكامل للابتكارات والاختراعات

وبعد إيداع الطلب في مكتب البراءات السعودي، يتكفل المكتب بتغطية جميع تكاليف طلب البراءة من رسوم الإيداع، وحتى آخر سنة لحماية الطلب، كما يعمل على متابعة حالة طلبات المخترعين السعوديين في مكتب البراءات السعودي؛ للتأكد من وصول طلبات البراءات للمخترعين الشبان إلى مرحلة المنح وإصدار الوثيقة.

وأهم مشاريع برنامج "بادر" هي "مسرعة نقل الاختراعات" التي تستهدف تفعيل براءات الاختراع عبر مجموعة متنوعة من الخدمات الرامية إلى تسريع تنفيذ وتطوير وتسويق الاختراعات خلال ستة أشهر، وأقيمت للمسرعة دورتان حتى الآن.